الأدب الرقمي والأجناس التفاعلية
الواقع والرهان

الدكتور ادريس العشاب
طالب باحث بسلك الدكتوراه
مختبر اللغة والمجتمع، جامعة ابن طفيل، القنيطرة
المغرب

تمهيد

اقتضت ضرورات الحياة أن تعرف جميع الكائنات التطور المستمر وإن اختلفت وتيرته، وقد كان للثقافة والأدب نصيبهما من هذا التطور في مختلف المجالات الفنية، التي تعرف طفرةَ نمو وازدهار كلما ازدهرت حياة الناس وانفتحت على ظروف جديدة لم تكن معلومة لديهم من قبل، فكلما تطور الفكر الإنساني، وتطورت أدوات تفكيره، تغيرت أشكال تعبيره، ومن تم تغير إدراكه للأشياء والحياة والكون،

ومن تم نتهيأ من أجل الحديث عن الأدب الرقمي أو الأدب التفاعلي الذي يعتبر شكلا جديدا من التجلي بفضل الثقافة التكنولوجية؛ وتطورا فرضته ظروف العصر الذي انبثق فيه.

لقد أكدت الشواهد التاريخية أن الأدب مر من مرحلة الشفاهية واعتماد الأدباء على قوة الذاكرة والتذكر، وكان الشأن للحفاظ والرواة، إلى مرحلة الكتابة على السعف والجلود وغيرها، ونضج أكثر بعد ظهور الورق وصناعة الطابعات، لينتقل في الفترة المعاصرة إلى نوع جديد من الأدب؛ إنه الأدب الرقمي الذي يفرض نفسه بفضل الوسائط الإلكترونية والرقمية وما تقدمه من خدمات وإمكانيات مدهشة بدون قيد أو رقيب قد يعرقل أو يعطل عملية الانطلاق في البحث والاكتشاف؛ ومن تم التعبير والإبحار في المعلومة، ليجد المبدع فضاء خصبا لاستثمار رغبة الذات في التعبير.

فما المقصور بالأدب الرقمي؟ وماهي أهم مراحل تطوره؟ ومن هم رواده؟ وماهي أهم الأجناس الأدبية التي اشتغل عليها الأدب الرقمي؟

إنها مجموعة من الإشكاليات التي نتوخى الاشتغال عليها في هذه الورقة اعتمادا على المصادر والمراجع المتوفرة لدينا والتي ستشكل أرضية للبحث في الموضوع ولو بشكل مقتضب.

1. التحديد المفهومي

إذا كان أفراد كل حقبة تاريخية يعبرون عن رؤيتهم للعالم وعلاقتهم به من خلال العديد من الأشكال الرمزية ذات علاقة بآليات التفكير والمناهج المتاحة، فإن الأدب الرقمي أو التفاعلي يقترح "رؤية /رؤى جديدة في إدراك العالم، كما أنه يعبر عن حالة انتقالية لمعنى الوجود، ومنطق التفكير"[1].

وفي تناولنا للأدب الرقمي، نكون مضطرين إلى الوقوف على أهم المفاهيم القريبة إليه أو المرتبطة بشكل أو بآخر به، ومن أهمها تداولا في الأبحاث التنظيرية التي واكبت حركية الأدب الرقمي نورد ما يلي: الأدب الإلكتروني، الأدب الشبكي، الأدب المترابط، الأدب التفاعلي.

1-1-الأدب الرقمي

تعرف زهور كرام الأدب الرقمي بقولها:" هو تعبير عن تطور النص الأدبي، الأدب لا يعيش الثبات من حيث نظامه وبنائه، نظرا لكونه يعرف تحولات في شكله ولغته تبعا لتغير وسائطه مما يؤثر على مختلف مكوناته من جهة، ونظام ترتيب تلك المكونات من جهة ثانية"[2]، ورأت الناقدة من خلال المقارنة بين الأدبين الغربي والعربي أن تطور الأدب في التجربة الغربية محقق ويعود هذا التطور إلى وسائطه التي تساعد على الانخراط فيه بسرعة، أما في التجربة العربية، فما يزال يعرف تعثرا كبيرا في تحققه، لأن ثقافة الوسائط التكنولوجية المعتمدة في إنجاز الأدب الرقمي لم تتشربها بعد الذهنية العربية باعتبارها ثقافة الإنتاج وليس فقط ثقافة الاستهلاك[3].

وعليه، نسمي "أدبا رقميا" كل شكل سردي أو شعري يستعمل الجهاز المعلوماتي وسيطا ويوظف واحدة أو أكثر من خصائص هذا الوسيط. ولهذا نجده قريبا من مصطلح الأدب الإلكتروني كما في عبارة "الشعر الإلكتروني" وهذا المصطلح هو الأقدم من حيث التداول في الثقافة الفرنسية، إذ كان شائعا في الفترة ما بين 1980-1990، ويؤكد أكثر على الطبيعة التكنولوجية لاشتغال الوسيط، بخلاف مصطلح "رقمي". ونعني اليوم بالأدب الإلكتروني أو الكتاب الإلكتروني ذلك العمل الورقي "المرقمن" أي الذي تحول من الوسيط الورقي إلى الوسيط الرقمي، مع الإشارة إلى أن الأعمال التي تتحول من الورق إلى الحاسوب لا تعد ضمن الأعمال الأدبية الرقمية.

لقد شكل المصطلح جدالا واسعا في أوساط المهتمين؛ وما زال باب الاجتهاد مفتوحا "لإضافة المزيد من المسميات التي تسعى من ناحية إلى ترجمة الأبعاد الدلالية المفاهيمية لمصطلح الأدب الرقمي في اللغات الأجنبية، إلى ما يقابلها في اللغة العربية، ومن ناحية أخرى اقتفاء الاستحداثات المتلاحقة لهذا الحقل الإبداعي، الذي مازال قيد التشكل والبلورة على صعيد قواعد الكتابة"[4]. ومن أهم المصطلحات المتداولة بين النقاد نورد:

1-1-1النص المترابط

وقد ترجم هذه التسمية الناقد المغربي سعيد يقطين عن المصطلح الذي اقترحه جيرار جنيت(Hypertexte) سنة 1982، مضيفا تعليقا أنه-جنيت- "لم يكن على علم بأن هذا المصطلح كان يوظف في الإعلاميات بمعنى مختلف عن المعنى الذي أراده لنوع العلاقة النصية التي حددها، وإن كان المعنى العام يومئ إلى ما سنحاول إعطاءه لهذا المفهوم، ونحن نرمي إلى نقله من مجال الإعلاميات بقصد توظيفه في تحليل النص"[5].

وبعد تجوال يقطين على مجموعة من المعاجم الغربية ومن أهمها موسوعة إنكارطا والموسوعة البريطانية استخلص أن الترابط هو "السمة الأساسية التي تتصل بمفهوم (Hypertexte)، ولذلك فضلنا هذا المصطلح على غيره، وميزناه عن المفهوم نفسه في نظرية النص التي تجعله مقتصرا على العلاقة بين نصين سابق ولاحق"[6]. وقد ترجم الناقد حسام الخطيب مصطلح (Hypertexte) ب"النص المتفرع"[7] في كتابه «الأدب والتكنولوجيا وجسر النص المتفرع" معللا اختياره هذا " بأنه اشتق صفة (المتفرع) من مصطلح (فرع) الدارج في فن الشروح والحواشي عند العرب"[8]، وهو يرى أنه الأقرب إلى المعنى العضوي للمصطلح الأجنبي وآليته.

وتقدم فاطمة البريكي تعريفا للنص المتفرع " إنه نص مؤلف من زمر من النصوص، مع الوصلات الإلكترونية التي تربط بينها، بحيث يقدم لقارئه، أو مستخدمه، من خلال تلك النصوص المتعددة والوصلات الرابطة بينها، مسارات مختلفة غير متسلسلة أو متعاقبة، وبالتالي، غير ملزمة بترتيب ثابت في القراءة، فيتيح أمام كل متلق / مستخدم فرصة اختيار الطريقة التي تناسبه في قراءته. إنه أسلوب في آلية الكتابة والقراءة جديد كليا، على مستوى تكنولوجيا المعلومات وآليات النشر، على حد سواء"[9].

ومما تجدر الإشارة إليه هو أن تحديد المفهوم سواء أكان المترابط أم المتفرع، فإن الأمر يتوحد عند الوقوف على الدلالة وعلى آليات توظيف العناصر المشكلة للنص والتي يشترك في إنتاجها المبدع والمتلقي. والذي ينبغي الوقوف عنده بالضرورة هو معرفة مراحل تطور هذا الأدب المترابط؟

يعتبر فانيفار بوش (Vaanevar Bush) أول من تحدث عن فكرة النص المتفرع سنة 1945، وقد أطلق عليه آنذاك، اسم (الميميكس-Memex)، وعرفه بأنه: "آلة تعمل على قاعدة الميكروفيش. وهي بمثابة قاعدة للمعلومات على ميكروفيلم أو على خلايا صور إلكترونية، ومهمتها الربط بين الوثائق بقصد الوصول إليها بسهولة"[10]. وفي عام 1963 قام (دوغلاس إنجلبارت -D.Engelbart) بنشر دراسة أعلن فيها عن النص المتفرع، وبعد ذلك بعامين 1965 قام (تيودور نيلسون Ted Nelson)

باقتراح مفهوم النص المتفرع، وأنجز مع أندرياس فان دام في جامعة براون أول نظام يستثمر (النص المتفرع). وفي هذا المشروع نظم نيلسون بمعية إعلاميين متخصصين مكتبة عالمية ضخمة، يترابط كل ما فيها من كتب

ومؤلفات ببعضه. ومنذ ذلك الوقت تواصلت الأبحاث المتعلقة بالنص المترابط وكان أول مؤتمر دولي انعقد لدراسة ومناقشة هذا الموضوع سنة 1987م.

لقد مهد تقاطع التكنولوجيا والأدب إلى ظهور مولود أدبي جديد نتيجة التلاقح العلمي القائم بين هذين المجالين اللذين ينتميان إلى حقلين معرفيين مختلفين، وهذا المولود هو الأدب التفاعلي.

1-1-2 النص الشبكي

ظهر هذا المصطلح لأول مرة على يد (إبسن آرسيت- Epsen Aarseth)، وقد قصد به النص المتاهة[11]، وترى فاطمة البريكي أنه "نوع من النصوص الصعبة التناول على القارئ المستعجل، يستدعي قراءة تفاعلية ومشاركة فعالة من المتلقي/ المستخدم"[12].

يركز النصي الشبكي على النظام الآلي للنص، لأنه يعتبر البيئة وتعقيداتها جزءا متمما للعملية الإبداعية، لذا يتطلب قارئا مناقشا ومفاوضا للنص في الفضاء المادي والتخييلي، من أجل خلق المعنى. ويعتبر إرنست النص الشبكي "عبارة عن آلة لإنتاج عدد من التعابير، وعندما يقرأ شخص ما من خلال (نص شبكي) فإنه يبقى منتبها إلى استراتيجيات منيعة، ومسارات لم تطرق، وأصوات لم تسمع"[13].

لقد ساهم كل من الأدب المترابط والشبكي في تفاعلهما مع التكنولوجيا المعاصرة في فتح آفاق جديدة للمبدع الحالي والمتلقي المستخدم لمختلف الوسائط الرقمية التي صارت جزءا لا يتجزأ من حياته اليومية.

2. ماهية الأدب التفاعلي

نشأ مصطلح الأدب التفاعلي بوصفه الأدب الذي "يوظّف معطيات التكنولوجيا الحديثة في تقديم جنس أدبي جديد يجمع بين الأدبية والتكنولوجية، ولا يمكن أن يتأتى لمتلقيه إلا عبر الوسيط الإلكتروني، أي من خلال الشاشة الزرقاء. ولا يكون تفاعليا إلا إذا أعطى المتلقي مساحة تعادل أو تزيد عن مساحة المبدع الأصلي للنص"[14]، وبذلك فهو نص مفتوح ينشئه المبدع عبر أحد المواقع على الشبكة، تاركا للقراء المستخدمين حرية إكمال النص، فيعلي ذلك من شأن المتلقي ليصبح الأساس في العملية التفاعلية، ومقدما على المبدع والنص الإبداعي، لتسقط مقولة المبدع الوحيد للنص ومعه تصبح بدايات هذا النص غير محدّدة، فيمكن للمتلقي اختيار أي نقطة بداية يرغب بها، مما يؤدي إلى اختلاف سيرورة الأحداث من متلق إلى آخر، أما النهايات، فهي أيضا غير موحّدة أو على الأقل تختلف الظروف المؤدية إليها مهما تشابهت، وتكون لجميع المتلقين فرصة للحوار الحي حول تجاربهم في قراءة النص وتفاعلاتهم المتعددة معه، وفيه يتحرر مبدعه من الصورة النمطية لعلاقة عناصر العملية الإبداعية ببعضها ليتجاوز الآلية التقليدية في تقديم النص الأدبي، معترفا بدور المتلقي في بناء النص من أجل تحقيق الروح التفاعلية المطلوبة،

إنه أدب قائم على ثقافة الصورة في عصر العولمة باعتبارها نهاية لتطور طويل للأدب عبر الحضارات المختلفة، من المشافهة إلى الكتابة والطباعة.

ونحن أمام هذا التطور المبهر الذي يشق طريقه أمام المبدعين ويفرض عليهم الانتقال التدريجي من الأعمال الفنية الورقية إلى إنتاج آخر يتطلب معرفة بعالم التكنولوجيا الواسع، نتساءل عن أهم الأجناس الأدبية التفاعلية التي اشتغل عليها المبدعون موظفين الحاسوب وما يتيحه من إمكانيات تشجع على الإبداع؟

سنركز في هذه الدراسة على ثلاثة أجناس أدبية تفاعلية فقط، يتعلق الأمر بالرواية التفاعلية، القصيدة التفاعلية، والمسرح التفاعلي.

1-2- الرواية التفاعلية

نشأت الرواية التفاعلية في رحم التكنولوجيا المعاصرة، وتغذت بأفكارها وتقنياتها، واتخذت لها مصطلحا خاصا بها -في الحقل الغربي الذي أنتجها- يميزها عن الرواية الورقية هو (Interactive Novel) باللغة الإنجليزية أو (Hyperfiction) باللغة الفرنسية، والمصطلحان لا فرق بينهما من حيث الدلالة.

وقد انتقل المصطلح إلى الحقل العربي، واستقبله المبدعون والنقاد العرب في البداية باهتمام كبير، رغبة أكيدة منهم في اكتشاف ماهية الرواية التفاعلية وخصائصها التي تميزها عن الرواية التقليدية، وهكذا قدمت فاطمة البريكي تعريفا للرواية التفاعلية بكونها "نمط من الفن الروائي يقوم فيه المؤلف بتوظيف الخصائص التي تتيحها تقنية (النص المتفرع) والتي تسمح بالربط بين النصوص سواء أكانت نصا كتابيا أم صورا ثابتة أم متحركة، أم أصواتا حية أو موسيقية، أم أشكالا جرافيكية متحركة أم خرائط، أم رسوما توضيحية، أم جداول، أم غير ذلك باستخدام وصلات تكون دائما باللون الأزرق، وتقود إلى ما يمكن اعتباره هوامش على متن، أو إلى ما يرتبط بالموضوع نفسه، أو ما يمكن أن يقدم إضاءة أو إضافة لفهم النص بالاعتماد على تلك الوصلات"[15].

إن القول بظهور جنس أدبي تفاعلي يعني بالضرورة وجود خصائص تميزه عن غيره الورقي، ومن بين الخصائص الفنية والتقنية المميزة للرواية التفاعلية نورد:

- في الرواية التفاعلية لا يلتزم المبدع بنمط محدد، أو لنقل لا يلتزم بالنمط الخطي الذي يناسب الرواية التقليدية، بل يتجاوزه و يكسره "ويفتح الرواية على آفاق مختلفة، بمثابة مسارات متعددة يمنح من خلالها المتلقي/المستخدم حرية اختيار المسار الأكثر جاذبية له، أو الذي سيحقق له قدرا أكبر من التفاعل"[16]، فالرواية التفاعلية لا تشترط على المتلقي قراءة النص باحترام منهجية القراءة التقليدية من البداية

إلى النهاية، أو من المقدمة إلى الخاتمة، أو تتبع الفصول والمراحل، بل تتيح له إمكانيات القراءة دون أي التزام بالترتيب التقليدي أو تتابع الصفحات من الأولى إلى الأخيرة.

– يدعو مبدع الرواية التفاعلية القراء/ المتلقين إلى إضافة مغامراتهم الافتراضية إلى بنية النص الروائي، كما فعل "روبرت أرلانو" في (رواية شروق شمس 69) مخاطبا المتلقي بقوله: «لا تنس إضافة مغامرتك إلى سجل ضيوف رواية 69، هذه فرصتك لتغيير الماضي"[17].

فنحن أمام عمل تميزه خاصية جديدة في العمل الإبداعي تتمثل في انخراط المتلقين في إنجاز العمل الإبداعي، وتكون لهم بصماتهم التي تساهم في عملية الخلق النصي من خلال دمج التجربة التاريخية والتخييلية بتصميم جذاب.

–تعتبر الكلمة في الرواية تفاعلية جزءا من كل، حيث تتشابك مع مختلف العلامات غير اللغوية كالصور والصوت والمشهد السينمائي[18]، وذلك من تحميل نصها بأبعاد دلالية إضافية. وتعد الوسائط المتعددة جزءا من الرواية التفاعلية تدخل ضمن بنائها الفني وليست مجرد تزيين وتنميق للنص.

ومن بين تجارب الرواية التفاعلية المبكرة في الحقل الغربي نذكر "قصة بعد الظهيرة" لما يكل جويس سنة 1986، و"شروق شمس69" لروبيرت أرلانو (بوبي رابيد)، وفي الحقل العربي نذكر أعمال المبدع والناقد محمد سناجلة "ظلال الواحد" سنة 2001، و"شات" سنة 2005، و"صقيع" التي صدرت سنة 2006، وعمل المصري خالد التوفيق "قصة مخيفة"سنة 2005، والمغربي محمد اشويكة في المجموعة القصصية "احتمالات" سنة 2009، وإسماعيل البويحياوي "حفنات الجمر" سنة 2015.

أما التجارب النقدية للحركة الأدبية الرقمية عربيا فهناك مواكبة علمية وأكاديمية تجلت في الدراسات التي قام بها الناقد المغربي سعيد يقطين وهي دراسات تنظيرية تضع الأسس والقواعد لهذه الممارسة النقدية، ونحيل على كتابه "من النص إلى النص المترابط" الذي صدر في 2005م، وكذلك كتب الناقدة فاطمة البريكي وأبرزها "مدخل إلى الأدب التفاعلي" الصادر في 2006م، وكتاب زهور كرام "الأدب الرقمي: أسئلة ثقافية وتأملات مفاهيمية" الصادر في 2009م، والذي تطرح فيه جملة من التأملات في المفهوم، والتحديات والآفاق المتعلقة بالأدب الرقمي، وكتاب "الإنسان والرقميات وعصر ما بعد كورونا "، كما أسست سنة 2018 مجلة «روابط رقمية" المتخصصة في المعرفة الرقمية، ونذكر أيضا عمل إبراهيم أولحيان "الرقمية وتحولات الكتابة" الصادرة سنة 2015م.

والملاحظ أن انفتاح الثقافة العربية على هذا الجنس الأدبي التفاعلي لازال محتشما وضئيلا، ويرجع إلى جملة من الأسباب منها ضعف تكوين الروائيين العرب في المجال الرقمي، وأضف عليه عزوف المتلقي العربي عن تقبل هذا النوع من الروايات .....

2-2- القصيدة التفاعلية

يمكن تعريف القصيدة التفاعلية بأنها " ذلك النمط من الكتابة الشعرية الذي لا يتجلى إلا في الوسيط الإلكتروني، معتمدا على التقنيات التي تتيحها التكنولوجيا الحديثة ومستفيدا من الوسائط الإلكترونية المتعددة في ابتكار أنواع مختلفة من النصوص الشعرية، تتنوع في أسلوب عرضها وطريقة تقديمها للمتلقي/ المستخدم، الذي لا يستطيع أن يجدها إلا من خلال الشاشة الزرقاء، وأن يتعامل معها إلكترونيا، ويتفاعل معها، ويضيف إليها، ويكون عنصرا مشاركا فيها"[19].

يحيلنا التعريف أعلاه إلى معنى ثقافي واحد مفاده أن القصيدة التفاعلية يستحيل تقديمها على الورق، ولكن تستطيع أن تزود المتلقي بالعديد من الظلال التي تعينه على ممارسة فعل التأويل، كما تفتح له طرائق متعددة للقيام بفعل القراءة في أشكالها المتنوعة.

وقد ظهرت أول النصوص الشعرية الرقمية على يد الشاعر الأمريكي روبرت كاندل الذي تحدث عن تجربته في نظم الشعر التفاعلي قائلا: «في العام(1990م) عندما شرعت في كتابة القصيدة الإلكترونية لم أكن أعرف أي شخص يمارس الكتابة الإبداعية على الشاشة، ولا كان (للشعر الإلكتروني) تسمية اصطلاحية في حينها أفضل من اسم (HyperText)، الذي عرّفت به نصوصي في ذلك الوقت.. وحدها كانت طيوري تحلق في ذلك الفضاء الإلكتروني المطلق"[20].

وتأثر بكاندل شعراء آخرون أبرزهم جيم روزنبيرغ (Jim Rosenberg) صاحب قصيدة (Inter grams)، وضع لها مقدمة توضيحية في صفحة البداية" تشرح للمتلقي/المستخدم كيفية التعامل مع هذا النص الذي يحتاج حقيقة إلى تلك المقدمة، لتساعده على ولوج فضاء النص واقتحامه، والتفاعل معه"[21]، ومن كُتّاب القصيدة التفاعلية أيضا بروس سميث (Bruse Smith) صاحب قصيدة (Afterbody)، وهي عمل مشترك بين شاعر ورسام صممت على برنامج (Flash).

أما في الثقافة العربية فقد حاز قدم السبق الأديب الأردني محمد سناجلة حسب رأي إبراهيم أحمد ملحم الذي يقول: "وقد أنتج سناجلة ثلاث روايات رقمية هي (ظلال الواحد) في 2001، و(شات) في 2005، و(صقيع) التي مزج فيها عناصر مختلفة: السرد، والشعر، والغناء، والسينما..."[22]، في حين يرى ناظم السعود أن الريادة تعود إلى الشاعر العراقي مشتاق معن وذلك في قوله: " وهكذا قرأنا تجربته المبهرة وأقصد بذلك مجموعته الشعرية التفاعلية الرقمية(تباريح رقمية لسيرة بعضها أزرق) لتكون التجربة التفاعلية الأولى ليس عربيا فحسب، بل هي الأولى باللغة العربية في العالم كله"[23].

وقد نالت القصيدة التفاعلية بالمغرب نصيبها من الاهتمام، ونمثل لها بأعمال الشاعر المبدع منعم الأزرق الذي أنتج قصائد كثيرة نورد منها على سبيل المثال: أفق في ليل أعمى، الخروج من رقين البدن، شجر البوغاز، منابع الكتاب، سيدة الماء، بِنَعْلٍ من ضوء، الدنو من الحجر الدائري، نبيذ الليل الأبيض، قصيدتان لبيت واحد.....

وتوجد أعمال الشاعر منعم الأزرق في موقعه على الشبكة العنكبوتية، تظهر بمجرد النقر على الرابط الخاص به.

2-3- المسرح التفاعلي

تعتبر المسرحية التفاعلية "نمط جديد من الكتابة الأدبية يتجاوز الفهم التقليدي لفعل الإبداع الأدبي الذي يتمحور حول المبدع الواحد، إذ يشترك في تقديمه عدة كتاب، كما قد يدعى المتلقي/ المستخدم أيضا للمشاركة فيه، وهو مثال للعمل الجماعي المنتج، الذي يتخطى حدود الفردية وينفتح على آفاق الجماعية الروحية"[24].

وألف "تشارلز ديمر" عام 1985م أول مسرحية تفاعلية، كما أسس مدرسة لتعليم كتابة سيناريو المسرح التفاعلي في موقعه الخاص على الإنترنت عبر تقديمه دورات تعليمية متعددة.

ويُعَدُّ هذا التجريب في التأليف المسرحي شكلا مغايرا، فهو يقوم أولا بإلغاء شخصية المؤلف الأساس ويمكن لأي قارئ أن يكون مؤلفا آخر بمجرد الدخول لموقع أحداث المسرحية الإلكترونية ويساهم في تكملة الأحداث التي لا تنتهي، كأن يختار شخصية معينة ويهتم بها لغرض تفعيل مسيرتها الدرامية، ثم يأتي شخص آخر ويختار شخصية أخرى في المسرحية نفسها، ويحاول أن يوسع مدى حركتها النصية وهكذا تستمر العملية بلا توقف. إن وظيفة الكاتب الأول (تشارلز ديمر) هنا هي عملية البدء بالمراحل الأولية لأحداث النص المسرحي حكاية وشخصيات، ليترك الجميع في محاورة تفاعلية غير منتهية مع مسرحيته، وحتما مثل هذه المسرحية لا يمكن تقديمها على خشبة المسرح، ولا يمكن قراءتها أو التفاعل مع مجريات أحداثها الأولية والتكميلية التي قام الآخرون بتأليفها، إلا عبر شاشة الإنترنت الرقمية.

ومن التجارب الرائدة في مسرح ديمر التفاعلي، مسرحية برج الموت (Château de Mort)، ومسرحية النورس البحري (Seagull) للمبدع الروسي تشيكوف، وقد عمل -ديمر- على تحويلها إلى نص مسرحي تفاعلي موجود على شبكة الإنترنيت ككتاب إلكتروني في صيغة ملفات (PDF)، يمكن تحميله على جهاز الحاسوب.

وبهذا يؤسس "تشارلز ديمر" لنظرية مسرحية جديدة يقترح أو يجتهد في تسميتها بـ (نظرية المسرح الرقمي)، وهي (الآن) قائمةٌ فعلا عبر عدد من المسرحيات التي أنتجها والموجودة حاليا في موقعه الالكتروني، ويتفاعل معها الكثير

من المتلقين سواء القراء منهم أم القراء المبدعين ممن يهتمون بالكتابة الدرامية ومن كافة أنحاء العالم، ولم يتوقفوا بعد عن وضع نهاية واحدة لأي من تلك المسرحيات.

وفي الحقل العربي "أقر المخرج والناقد المسرحي محمد حسين حبيب الله أنه المتصدر لمشروع نظرية المسرح الرقمي منذ عام 2005"[25]، وتندرج في إطار المسرح التفاعلي التجربة التي أنتجت عبر تقنية النص المتفرع ونقصد "مسرحية مقهى بغداد التي أنشأها وأعد لها أساسا الأستاذان حازم كمال الدين بالاشتراك مع بييتر فير هايس"[26]، كما شارك في إبداعها الباحث محمد حسين حبيب الله الذي يرى "أن العمل في هذه المسرحية لم يكتمل على نحو ما كان مخطط له إذ كان من المؤكد في هذه التجربة عرض مشاهد مسرحية ارتجالية في ضوء حوارات الجمهور وأسئلتهم عبر الشات مع المشتركين من دول عدة وأماكن وأزمان مختلفة جلست تحاور في زمن واحد في ضمن فكرة موحدة وفرتها لهم هذه الشاشة الافتراضية العملاقة"[27].

يمكننا القول إن المسرح التفاعلي لا يزال في مرحلة التأسيس على مستوى الساحة الثقافية العربية، التي تحتاج إلى ترسيخ قناعة قابلة لمسايرة التقدم المتلاحق للوسائط التكنولوجية، مع التأكيد على ضرورة الانخراط في الثقافة الرقمية التي تتطلب الوعي العلمي والإبداعي الملتزم، قصد النهوض بمسرح تفاعلي- رقمي ينافس نصوص المسرح التفاعلي الغربي عبر شبكة الإنترنيت.

خاتمة:

وخلاصة القول: يتبين من خلال ما سلف أن الأدب الرقمي يشكل طفرة جديدة في الثقافة الكونية، وسيفرض نفسه على المثقف المستقبلي بالنظر إلى التطور الهائل الذي تعج به ساحة المنتوجات الإلكترونية من هواتف ذكية وحواسيب جد متطورة، تلزم الإنسان المعاصر استعماله في مختلف الشؤون الحياتية، الإدارية والتعليمية والاجتماعية وغيرها، وتعتبر الأجناس الأدبية إحدى هذه الحاجيات المتوفرة في الشبكة العنكبوتية وقد انخرط المبدعون الغربيون والعرب في إنتاج وإبداع النصوص الرقمية/التفاعلية التي يشترك ويساهم في إبداعها وصناعتها المبدع والمتلقي على حد سواء، وقد توصلنا من خلال هذه الورقة إلى الخلاصات التالية:

- كان للمثقفين الغربيين قدم السبق في التجربة الإبداعية الرقمية.
- الإنتاجات الأدبية التفاعلية الغربية غزيرة بفعل انفتاح المبدعين على الوسائط التكنولوجية في زمن مبكر، وانخراطهم الجدي في إنتاج وإنجاز الأدوات المطلوبة التي تساعدهم على فعل الإبداع التفاعلي بمختلف تلاوينه.
- انخراط المثقفين العرب في الموجة الأدبية الرقمية منذ بداية الألفية الثالثة، وكانت الانطلاقة من المغرب على يد سعيد يقطين وزهور كرام باعتبارهما ناقدين وحاملين لمشروع ثقافي جديد إلى الساحة الأدبية العربية. تلاها ظهور نصوص إبداعية تفاعلية شعرية على يد مبدعين استهوتهم ثقافة الانفتاح على الأدب الرقمي – التفاعلي.
- تأثر النقاد العرب في المشرق بالحركة النقدية التفاعلية المغربية، وإنجاز دراسات نقدية في الموضوع مثل فاطمة البريكي، أخرى إبداعية من قبيل أعمال الأردني محمد سناجلة والشاعر العراقي مشتاق معن.
- على مستوى المسرح التفاعلي تعرف الساحة العربية فراغا من حيث الإنتاج، ونأمل أن ينخرط المبدعون المسرحيون في تجربة إنتاج نصوص مسرحية تفاعلية.

الهوامش:

[1] - زهور كرام، الأدب الرقمي، أسئلة ثقافية وتأملات مفاهيمية، رؤية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 2009، ص22.

[2] – زهور كرام، الأدب الرقمي حقيقة أدبية تميز العنصر التكنولوجي، حوار رامز رمضان النويصري، مجلة دفاتر الاختلاف الإلكترونية، الرابط: http://cahiers differences.over-blog.net

[3] - نفسه (بتصرف)

[4] - فاطمة الزهراء عطية، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد10، عدد 2، سنة 2021، ص442.

[5] - سعيد يقطين، من النص إلى النص المترابط، مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى،2005، ص98.

[6] - سعيد يقطين، من النص إلى النص المترابط، مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي، مرجع سابق، ص98.

[7] - فاطمة البريكي، مدخل إلى الأدب التفاعلي، ص21.

[8] - حسام الخطيب، الأدب التكنولوجيا وجسر النص المتفرع، المكتب العربي لتنسيق الترجمة والنشر، دمشق، الدوحة، ط 1، 1996، ص83.

[9]- فاطمة البريكي، مدخل إلى الأدب التفاعلي، ص25-26.

[10] - سعيد يقطين، من النص إلى النص المترابط، مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي، مرجع سابق، ص264.

[11] - فاطمة البريكي، مدخل إلى الأدب التفاعلي، ص29.

[12] - نفسه.

[13] - نفسه، ص30.

[14] - نفسه، ص25-26.

[15] - نفسه، ص112.

[16] - نفسه، ص 112.

[17] - نفسه، ص 117.

[18] - محمد سناجلة، رواية الواقعية الرقمية، النسخة الرقمية، ص 95.

[19] - فاطمة البريكي، مدخل إلى الأدب التفاعلي، مرجع سابق، ص77.

[20] - مرح البقاعي، "القصيدة الرقمية: الفن هو تكنولوجيا الروح، انظر الرابط:
http://www.himag.com/art8.cfm?topicId=333

[21] - فاطمة البريكي، مدخل إلى الأدب التفاعلي، مرجع سابق، ص84.

[22] - إبراهيم احمد ملحم، الأدب والتقنية مدخل إلى النقد التفاعلي، عالم الكتب، الأردن، ط1، 2013، ص22.

[23] - ناظم السعود، القصيدة التفاعلية- الرقمية: حين تكون الريادة استباقا مزدوجا (مقال رقمي) ت.ق 2019/2/7، ط1، 36-21 على الرابط:
http://www.almothaqaf.com/index.php?option=com_content&view=article&id=850&catid=213

[24] - فاطمة البريكي، مدخل إلى الأدب التفاعلي، مرجع سابق، ص99.

[25] - ريمة غريط وأحمد جاب الله، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد 12، العدد 2، 2020، ص 142.

[26] - نفسه، ص 142.

[27] - نفسه، ص 143.